

تفسير البحر المحيط

@ 407 @ فحسنت الواو الجامعة للأميرين في الزمن الواحد وهو أحد محاملها ويزعم بعض النحويين أنه أولى بحاملها وأكثر . وقيل ثبت رغداً بعد الأمر بالدخول لأنها حالة قدوم فالأكل فيها ألد وأتم وهم إليه أحوج بخلاف السكنى فإنها حالة استقرار واطمئنان فليس الأكل فيها ألد ولا هم أحوج . وأما التقديم والتأخير في وقولوا وادخلوا ، فقال الزمخشري : سواء قدّموا الحطة على دخول الباب وأخروها فهم جامعون في الإيجاد بينهما انتهى ، وقوله سواء قدّموا وأخروها تركيب غير عربي وإصلاحه سواء أقدموا أم أخروها كما قال تعالى : { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْزِلَتْ إِلَيْهِمْ آيَاتُكَ مِنْ أَعْلَى السَّمَاءِ أَمْ مِنْ أَسْفَلِهَا أَمْ مِنْ خِلْفَتِهِ لِيُخْذِلَهُمْ وَإِلَى يَدَيْهِمْ أَصَابِعُ السَّمَاءِ يُفِئِدُهُمْ بِآيَاتِهِ حَيْثُ يَشَاءُ وَإِنَّهُ يَفْقَهُ هِمَّتِ الْفَاسِقِينَ } ويمكن أن يقال : ناسب تقديم الأمر بدخول الباب سجّداً مع تركيب ادخلوا هذه القرية لأنه فعل دالّ على الخضوع والذلة وحطة قول والفعل أقوى في إظهار الخضوع من القول فناسب أن يذكر مع مبدأ الشيء وهو الدخول ولأنّ قبله ادخلوا فناسب الأمر بالدخول للقرية الأمر بدخول بابها على هيئة الخضوع ولأنّ دخول القرية لا يمكن إلا بدخول بابها فصار باب القرية كأنه بدل من القرية أعيد معه العامل بخلاف الأمر بالسكنى وأما سنزید هنا فقال الزمخشري موعده بشيئين بالغفران والزيادة وطرح الواو لا يخلّ بذلك لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقليل له : سنزید المحسنين وزيادة منهم بيان وأرسلنا وأنزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد ، وقرأ الحسن : حطة بالنصب على المصدر أي حطّة ذنوبنا حطة ويجوز أن ينتصب بقولوا : على حذف التقدير وقولوا قولاً حطّة أي ذا حطة فحذف ذا وصار حطّة وصفاً للمصدر المحذوف كما تقول : قلت حسناً وقلت حقّاً أي قولاً حسناً وقولاً حقّاً ، وقرأ الكوفيون وابن كثير والحسن والأعمش غفر بالنون لكم خطيئاً تكم جمع سلامة إلا أن الحسن خفّف الهمزة وأدغم الياء فيها ، وقرأ أبو عمرو غفر بالنون لكم خطاياكم على وزن قضاياكم ، وقرأ نافع ومحبوب عن أبي عمرو تغفر بالتاء مبنيّاً للمفعول لكم خطيئاً تكم جمع سلامة ، وقرأ ابن عامر تغفر بتاء مضمومة مبنيّاً للمفعول لكم خطيئتكُم على التوحيد مهموزاً . وقرأ ابن هرمز تغفر بتاء مفتوحة على معنى أنّ الحطّة تغفر إذ هي سبب الغفران ، قال ابن عطية : وبدل غير اللفظ دون أن يذهب بجميعة وأبدل إذا ذهب به وجاء بلفظ آخر انتهى ، وهذه التفرقة ليست بشيء وقد جاء في القراءات بدل وأبدل بمعنى واحد قرء : { فَأَرَادُوا زَنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمْ رَبُّهُمْ مَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً } و { عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَعَ كُنُوزٌ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا } { عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَ نَا خَيْرًا مِّنْهُ } بالتخفيف والتشديد والمعنى واحد وهو إذهب الشيء والإتيان بغيره بدلاً منه ثم التشديد قد جاء حيث

يذهب الشيء كله قال تعالى : { فَأُوْءَلِّئكَ يَبَدِّلُ اللّٰهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ }
 { وَبَدَّلَ لَنَا هُمْ * بِجَنَاحَاتِهِمْ جَنَاطَتَيْنِ } ثم { بَدَّلْنَا مَكَانَ
 السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ } وعلى هذا كلام العرب نثرها ونظمها . .
 { وَسُئِلَهُمْ عَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ
 يَعْبُدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا
 وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ } . الضمير في واسألهم عائد على من يحضره الرسول صلى الله عليه وسلم)
 من اليهود وذكر أن بعض اليهود المعارضين للرسول صلى الله عليه وسلم) قالوا له لم
 يكن من بني إسرائيل عصيان ولا معاندة لما أمروا به فنزلت هذه الآية موبخة لهم ومقررة
 كذبهم ومعلمة ما جرى على أسلافهم من الإهلاك والمسح وكانت اليهود تكتُم هذه القصة فهي مما
 لا يعلم إلا بكتاب أو وحي فإذا أعلمهم بها من لم يقرأ كتابهم علم أنه من جهة الوحي ،
 وقوله عن القرية فيه حذف أي عن أهل لقرية والقرية إيالة قاله ابن مسعود وأبو صالح عن
 ابن عباس والحسن وابن جبير وقتادة والسدي وعكرمة وعبد الله بن كثير والثوري ، أو مدين
 ورواه عكرمة عن ابن عباس أو ساحل مدين ، وروي عن قتادة وقال هي مقننى بالقاف ساكنة ،
 وقال ابن زيد : هي مقناة ساحل مدين ، ويقال : لها معنى بالعين مفتوحة ونون مشددة أو
 طبرية قاله الزهري أو أريحا أو بيت المقدس